برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى رومية الحلقة الخامسة والعشرون

مستمعي العزيز، بدأنا في اللقاء الماضي بدراسة الأصحاح الحادي عشر من رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما. وهي الرسالة التي تعتبر من أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس.

وكان الرسول بولس قد بدأ في الأصحاح التاسع بمعالجة مشكلة علاقة الله باليهود. فأكد أن المختارين من اليهود فقط، الذين يؤمنون بالمخلص المسيح، يُعتبرون من شعب الله. وأن لله مختارين من الأمم واليهود. وأوضح الرسول بولس في الأصحاح العاشر أن غاية الناموس هي المسيح لكل من يؤمن به ربا. وأن لا فرق عند الله بين اليهودي والأممي. لكن اليهود رفضوا بشارة الخلاص فحجب الله وجهه عنهم وأغارهم بالأمم.

ولهذا بدأ الرسول بولس الأصحاح الحادي عشر بطرح السؤال: هل الله رفض شعبه القديم للخلاص؟ وأجاب كلا. والسبب لأن الرسول بولس نفسه كان يهوديا، لا بل أن بقية مختارة من اليهود آمنت بالمخلص المسيح. لكن الغالبية من اليهود رفضت خلاص الله، فقسّى الله قلوبهم وأعمى أعينهم، واقتبس الرسول بولس ما تنبأ به أنبياء العهد القديم لتأكيد هذه الحقيقة.

وهنا قد يعترض أحدهم فيطرح التساؤل: هل هذا يعني أن قصد الله كان أن يعثر هذا الشعب لكي يقسّي قلبه ويسقط؟ حقا إنه تساؤل هام. ولهذا طرح الرسول بولس في العدد الحادي عشر نفس هذا التساؤل فكتب: " **فأقول ألعلهم عثروا لكي يسقطوا. حاشا. بل بزلتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم.**" يتساءل الرسول بولس هل رفض اليهود لخلاص الله بالمسيح يعني أنهم سقطوا نهائيا من جهة الخلاص. وأجاب حاشا أي كلا. والسبب لأنه برفضهم للمسيح فُتح الباب على مصراعيه لخلاص الأمم لإغارتهم. لقد أرسل الله المخلص المسيح إتماما لوعوده في القديم لإسرائيل بالخلاص، ولهذا بدأ المسيح بشارته بالخلاص لليهود. لكن هدف الله كان منذ الأزل أن يُعلن خلاصه بواسطة المسيح إلى كل الشعوب والأمم الأخرى، وأن لا يكون مقتصرا على شعب واحد فقط هو شعب إسرائيل.

ولهذا كتب البشير يوحنا في الأصحاح الأول من بشارته قائلا: " **إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله.**" (الإنجيل بحسب بشارة يوحنا١:١١-١٣) وبتعبير آخر إن المخلص المسيح قد جاء أولا إلى اليهود الذين كانوا شعب الله أي خاصته، لكن رفض اليهود له، لم يؤثر على خطة الله المعدة منذ الأزل، وهي أن يعلن خلاصه إلى جميع البشر. ولهذا أعطى

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

المسيح كل الذين يقبلوه أي يؤمنوا به سلطانا أن يصيروا من أولاد الله. وهذه الولادة الروحية الجديدة تتم مباشرة من الله، ولا علاقة لها بالانتساب إلى أي جنس أو عرق أو شعب معين، أي لا علاقة لها بالحسب والنسب. فكل من يؤمن بالمخلص المسيح يصبح من أولاد الله ومن شعبه الخاص. وهو ما أعلنته لنا كلمة الله في العهد القديم وبكل وضوح، أن خلاص الله سيشمل كل الشعوب.

فلقد وعد الله قديما إبراهيم الخليل أن في نسله ستتبارك جميع أمم الأرض.(تكوين١٨:٢٢) وشرح لنا الرسول بولس في رسالته إلى المؤمنين في مدينة غلاطية أن المقصود بالنسل هنا هو المخلص يسوع المسيح. فكتب الرسول بولس قائلا: " **وأما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله. لا يقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد وفي نسلك الذي هو المسيح.**" (الرسالة إلى غلاطية١٦:٣) أي أن وعد الله لإبراهيم كان يشير إلى المخلص المسيح. وفعلا أتى المخلص يسوع المسيح وتباركت بواسطته جميع الأمم. إذ تمم خلاص الله وأعلنه لجميع الشعوب، ويستطيع الآن كل من يؤمن من أي شعب كان أن يحصل على خلاص الله، ويصبح بالتالي من شعب الله وخاصته.

وهذا بحد ذاته يؤكد أن خطة الله لم تكن منذ البداية، كما يدّعي البعض، أن يرسل المسيح لليهود فقط، لكي يؤسس لهم ملكوتا أرضيا. وأنه عندما رفض اليهود المسيح، بدّل الله خطته هذه وتوجّه للأمم. وتمّ عندها تأجيل مشروع الملكوت إلى عصر مستقبلي، وأننا نعيش الآن في عصر النعمة، الذي سينتهي بحادث اختطاف المؤمنين أو الكنيسة، وعودة الله وتعامله الخاص مع اليهود أو شعبه القديم. إن الله لم يبدّل أو يغيّر خطته، بل على العكس إن كل حقائق العهد الجديد تؤكد أن خطة الله لإعلان خلاصه لجميع البشر، قد أُعدَّت منذ الأزل.

ثم تابع الرسول بولس مناقشته لموضوع رفض اليهود لخلاص الله. فكتب في العدد الثاني عشر قائلا: "**فإن كانت زلتهم غنى للعالم ونقصانهم غنى للإمم فكم بالحري ملؤهم.**" يتساءل الرسول بولس هنا فيقول، أنه إذا كان رفض اليهود لخلاص الله قد أدى إلى غنى عظيم للأمم، فكيف يكون الوضع يا ترى عندما يكتمل عدد المخلّصين منهم؟ وهو الذي عناه بملئهم. وهنا علينا أن نعيد تكرار المبدأ الأساسي الذي انطلق منه الرسول بولس في بداية مناقشته لموضوع قبول اليهود لخلاص الله، وهو: "**لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون. ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعا أولاد. بل بإسحق يُدعى لك نسل. أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلا.**" (الرسالة إلى رومية٦:٩ب-٨) وهذا يؤكد أن الملء هنا لا يعني أن جميع بني إسرائيل في الجسد سيخلصون، بل خلاص جميع المختارين منهم فقط، الذين يُحسبون أولاد الموعد. وبتعبير آخر اكتمال عدد البقية المختارة منهم.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

وأضاف الرسول بولس في العددين الثالث عشر والرابع عشر قائلا: " **فإني أقول لكم أيها الأمم. بما أنا رسول للأمم أمجد خدمتي، لعلي أغير انسبائي وأخلص أناسا منهم.**" يوجه الرسول بولس هنا كلامه للمؤمنين من الأمم فيقول، أن أحد أهدافه كرسول للأمم هو أن يُغير بني شعبه من اليهود، لعلهم يغارون، عندما يرون عددا كبيرا من الأمم يقبل خلاص المسيح. وتكون النتيجة أن يؤمن أناس منهم بخلاص الله المعلن في المخلص المسيح.

وعاد الرسول بولس في العدد الخامس عشر ليطرح نفس التساؤل الذي طرحه قبل قليل عن اليهود فقال: " **لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة العالم فماذا يكون اقتبالهم إلا حياة من الأموات.**" وبتعبير آخر أنه إذا كان رفض اليهود لخلاص الله قد أدى لكي يصالح الله العالم أجمع، فماذا يكون رجوع كل المختارين منهم وإيمانهم بالمخلص المسيح؟ ألا يكون بركة عظيمة كبركة قيامة الأموات؟ إن فكرة مصالحة الله للعالم تذكِّرنا بما كتبه الرسول بولس في رسالته إلى المؤمنين في مدينة أفسس. (راجع أفسس٢:١١-٢٢) عندما كتب كيف صالح الله الأمم واليهود بواسطة المخلص المسيح وموته الكفاري، وجعلهما شعبا واحدا جديدا لله.

ثم استعان الرسول بولس كعادته من العهد القديم لكي يشرح ما يريد قوله، فكتب في العدد السادس عشر قائلا: "**وإن كانت الباكورة مقدسة فكذلك العجين. وإن كان الأصل مقدسا فكذلك الأغصان.**" كان الناموس يعلّم أنه عند تجهيز العجين يرفعون أول قرص منه للرب، لكي يتقدس العجين كله. أي لم يكن ضروريا أن يقدموا كل جزء من العجين للرب، إذ أن الباكورة تكفي لتقديس الجميع. وكذلك الأمر بالنسبة للشجرة التي تزرع في الأماكن الموقوفة لله، كانت تعتبر مقدسة. ولم تكن هناك حاجة لتقديس كل غصن بمفرده، لأن تقديس الشجرة يقدّس كل غصن فيها. فماذا قصد الرسول بولس هنا ؟

في البداية كانت غالبية المؤمنين المسيحيين من اليهود، لا بل إن جميع الرسل كانوا من اليهود، فهم الباكورة أي من أوائل الذين آمنوا بالمسيح. فإذا كان هؤلاء مقدّسين فإن باقي المختارين لله من اليهود لا بد أيضا أن يكونوا مقدّسين. وهناك من يفسّر الباكورة بالآباء الأولين كإبراهيم واسحق ويعقوب الذين كانوا بداية شعب إسرائيل، لكني أرجِّح شخصيا أن الباكورة هنا تشير بحسب القرينة إلى المؤمنين المسيحيين الأوائل من اليهود.

وتابع الرسول بولس حديثه للمؤمنين من الأمم مطبقا استعارة الزيتونة فكتب في العدد السابع عشر قائلا:"**فإن كان قد قطع بعض الأغصان وأنت زيتونة برية طعمت فيها فصرت شريكا في أصل الزيتونة ودسمها.**" كان النبي إرميا قديما قد شبّه شعب الله بالزيتونة. (راجع إرميا١١:١٦) وهذا طبيعي لأنها شجرة هامة تعطي ثمرا مفيدا يُستخرج منه الزيت. وواضح أنه بسبب عدم إيمان الغالبية من اليهود بالمخلص المسيح فقد قُطعوا من الزيتونة، ولم يعودوا من شعب الله. وفي نفس الوقت دخل المؤمنون من

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

الأمم، الذين كانوا أغصانا في الزيتونة البرية، أي بعيدين عن معرفة الله. لكن الله ومن فرط محبته لهم خلصهم، وطعّمهم بالزيتونة المثمرة، وهكذا صاروا أغصانا فيها أي من شعب الله.

من الواضح إذن أن شعب الله كان دائما يُرمز له بالزيتونة المثمرة. لقد كانت الزيتونة قديما تقتصر على اليهود فقط، أما الآن وبعد مجيء المخلص المسيح فقد صارت تشمل جميع المؤمنين، أمما كانوا أم يهودا. ومن الواضح أيضا أنه توجد زيتونة مثمرة واحدة، لا زيتونتان، أي يوجد شعب واحد لله مؤلف من كل الذين يؤمنون بالمخلص المسيح. وهذا كله يذكرنا مرة أخرى بما كتبه الرسول بولس في رسالته إلى المؤمنين في مدينة أفسس. إذ أوضح أن الأمم الذين كانوا بعيدين وغرباء وبلا إله، صاروا قديسين ومن شعب الله، وشركاء في الميراث والجسد ونوال موعد الله في المسيح. (راجع أفسس٣:٣-٦) أي شركاء في أصل الزيتونة ودسمها. كل هذا حصلوا عليه عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح. وليس هذا فحسب، بل أكد الرسول بولس أيضا أن المؤمنين بالمسيح من الأمم واليهود صاروا شعبا واحدا لله.

وهذا ينفي ما يزعمه البعض أنه مازال هناك شعبان لله، شعب سماوي هو الكنيسة أو المؤمنون بالمسيح، وشعب أرضي هم اليهود. مع العلم أن الرب يسوع المسيح نفسه كان قد أكد على حقيقة الشعب الواحد لله عندما قال: " **ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة** –أي الحظيرة اليهودية– **ينبغي أن آتي بتلك أيضا فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد.**" (الإنجيل بحسب بشارة يوحنا١٠:٢٦)

ألا ترغب صديقي المستمع أن تصبح غصنا في الزيتونة المثمرة ومن شعب الله ؟ تعال اليوم بإيمان قلبي صادق واقبل خلاص الله المقدم لك مجانا بواسطة المخلص المسيح .

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service